دراسة تاريخية تحليلية عن دور العرب في مواجهة الغزو الصليبي لبلاد الشام ومصر خلال عصر الحروب الصليبية

دة. هيلة بنت عبد الرحمن بن فراج الفراج السهلي*

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى الرد على بعض الدراسات الحديثة، التي تدعي أن العرب وقفوا موقفًا سلبيًا من الغزو الصليبي لبلاد الشام ومصر خلال الحروب الصليبية، وتحصر دور المقاومة في الأتراك والأكراد، بل إن بعض هذه الدراسات تنسب العرب إلى خيانة والتخاذل، وذلك في سبيل تمجيد جماعات عرقية معينة، وهذا قمة الظلم والتجني على العرب؛ لأنها بذلك اغفلت تمامًا الدور الكبير الذي قام به العرب في المقاومة والجهاد، والذي شهدت به المصادر التاريخية الإسلامية المعاصرة لتلك الفترة. وإذا كان العرب قد تنحوا عن مسرح السياسة، فهم لم يتنحوا عن مسرح الجهاد، حتى وإن كانت القيادة غير عربية خاصة وأنهم يمثلون الأكثرية الكاثرة في المناطق التي رزئت بالغزو الصليبي.

Abstract :

Historical and analytical study of the Arabs's role against the Franks invasion during the Crusades

This study is a response to some contemporary writings which claim that the Arabs had a negative attitude during the invasion of Syria and Egypt during

* - أستاذ التاريخ الإسلامي المشارك ، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن، الرياض، المملكة العربية السعودية.

the Crusades, confining the role of Jihad to Turks and Kurds. Even more so, some of these studies have accused them of betrayal and have glorified particular ethnic groups. This is considered to be an unfair judgement of Arabs since it completely ignores their role in terms of sweeping away the invaders. We must also ask how could they refrain from fighting when they represented the majority of the inhabitants of Syria and Egypt? Islamic historical sources of that period testify that Arabs participated courageously when it came to defending Syria and Egypt against the Crusaders. If the Arabs gave away political power they didn't give away Jihad. Many Arabs fell as martyrs during the battles between the Muslims and the Franks. The Arab tribes contributed actively in these battles and offered many helpful services to the Muslim sultans and authorities.

مقدمة:

تدعي بعض الدراسات الحديثة أن العرب وقفوا موقفًا سلبيًا من الغزو الصليبي لبلاد الشام ومصر خلال عصر الحروب الصليبية، وأن الأتراك والأكراد هم من حمل لواء المقاومة حتى تمكنوا من طرد الصليبيين من هاتين المنطقتين.

ونحن لا ننكر الدور الكبير الذي قام به الأتراك والأكراد في الدفاع عن الإسلام، ولكننا ننكر أن يحصر هذا الدور في هاتين الفئتين ويغفل دور العرب تمامًا كأن لم يكن لهم ذكر أو مساهمة خلال تلك المرحلة الهامة من تاريخ الإسلام، وعلاوة على ذلك يوصموا بالخيانة والتخاذل في بعض تلك الدراسات في سبيل تمجيد جماعات عرقية معينة، وهذا قمة والتجني على العرب. فإذا كان العرب قد تنحوا عن مسرح السياسة فهم لم يتنحوا عن مسرح الجهاد، حتى وإن كانت القيادة تركمانية أو كردية. وكيف يتخاذل العرب عن المقاومة،

وهم الأكثرية الكاثرة في المناطق التي رزئت بالغزو الصليبي، فكيف يتخاذلون عن الدفاع عن أرضهم وديارهم، بل كيف يتخاذلون عن الجهاد، وهم أصل الإسلام ومادته.

وهذا البحث يقدم قراءة جديدة لدور الذي لعبه العرب بدوهم وحضرهم خلال تلك الفترة العصبية من تاريخ الإسلام؛ في محاولة لإنصاف العرب، وذلك من خلال المصادر الإسلامية التي عاصرت تلك الحقبة ، والتي تحوي شواهد عديدة تؤكد دور العرب في دحر الإفرنج الصليبيين. ومن الصعب التصور أن يكون القادة التركمان والأكراد قادرين بجيش مكون من هذين العنصرين فقط- لا يتعدى سوى بضعة آلاف- على مواجهة حملات صليبية متلاحقة مكونة من عشرات بل مئات الآلاف، ناهيك عن استعادة كل المناطق التي استولوا عليها في بلاد الشام واخراجهم منها. فمن المؤكد أن هؤلاء القادة لم يستطيعوا تحقيق ذلك إلا بالتفاف سكان بلاد الشام ومصر عربهم وعجمهم حولهم، وبجيوش مكونة من العرب والعجم.

ولكن بما أن السلطة في ذلك الوقت كانت بيد التركمان والأكراد، فمن الطبيعي أن يكون التركيز على هذين العنصرين أكثر من العناصر الأخرى. ويبدو هذا الأثر واضحًا في كتابات بعض مؤرخي القرنين السادس والسابع الهجريين/ الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين. فابن الأثير، الذي يعد أهم مؤرخ عربي للحروب الصليبية، في كتابه "الكامل في التاريخ" رغم أهميته وغناه التاريخي بخس العرب حقهم، وأغفل دورهم في التصدي للحملات الصليبية. وكان ابن الأثير في مواضع كثيره من كتابه يستعمل لفظ "المسلمين" عند الإشارة إلى الجانب العربي إبان المعارك مع الفرنج الصليبيين حتى لا يقع في حرج أمام ولاة الأمور التركمان، في لفظة عائمة غير محددة يدخل فيها العرب مع المسلمين من غير العرب بينما نجده عند الحديث عن الأتابكة ورجالهم أو مماليكهم

يشير إلى عرقهم وجنسياتهم، وإذا تحدث عن العرب يقصر حديثه على أولئك البدو العصاة الذين كانوا يغيرون أحيانًا على قوافل الحجاج أو يحدثون بلبله بالأمن. وقد سار على منوال ابن الاثير معظم من جاء بعده من المؤرخين بما إنهم يعشون في نفس الظروف[1].

أولا: الوجود العربي في بلاد الشام ومصر

إن جانبًا كبيرًا من تاريخ بلاد الشام قبل الإسلام يتعلق بظاهرة الهجرات العربية المتتالية التي نزح فيها العرب إلى مناطق مختلفة من بلاد الشام؛ إما بطريق التغلغل السلمي أو بالقوة العسكرية، وعلى ذلك يستند ابن خلدون حين يقرر بأن أول من ملك بلاد الشام هم العرب[2]؛ لذلك يشير محمد كرد إلى أنه: "لم تطل حياه عنصر في الشام كما طالت حياه العرب. وهم الذين اندمج فيهم عامة الشعوب القديمة واستعربت فلم تعد تعرف غير العربية لسانا"[3]. ومع موجة الفتوحات العربية في صدر الإسلام، اندفعت القبائل العربية وبطونها إلى الشام حاملة معها الدماء العربية واللغة العربية والدين الإسلامي، وأصبحت الغلبة للعنصر العربي، واستطاعت القبائل العربية منذ أوائل الرابع الهجري / القرن العاشر الميلادي التأثير على بناء المجتمع في منطقة زمن الحروب الصليبية[4].

وشهد النصف الثاني من القرن العاشر الميلادي \الرابع الهجري تحرك موجه بشرية خرجت من الجزيرة العربية زاحفة باتجاه العراق والشام، وكانت منها قبائل طيء اليمانية التي استوطنت فلسطين[5]وتمكنت من تأسيس أمارة طائية فيها تزعمها آل الجراح، ومنها أيضًا القبائل القيسية؛ كقبائل مالك، والتي تحركت إلى منطقة حوران ثم إلى شمال فلسطين، وقبائل عقيل التي استقدمها الإخشيد إلى شمال الأردن وطبرية[6]. ويشير ابن خلدون ايضًا إلى هجرة بني كلاب الى بلاد الشام بدون أن يحدد تاريخًا معيناُ لهذا الانتقال[7]. كما

تشير الدلائل أن بني كلاب شاركوا بقية البطون الأخرى لعامر بن صعصعة في الهجرة من وسط الجزيرة العربية إلى سهول بلاد الشام في أوائل الدولة العباسية، وفي عهد المأمون بصفة خاصة تدفقت أعداد كبيرة منهم حيث استقرت في موطنها الجديد ولعبت دورها إلى جانب بقية الفروع القيسية[8].

ويتحدث ابن العديم عن هجرة جماعية لبني كلاب إلى بلاد الشام في نهاية العهد الإخشيدي وبداية العهد الحمداني سنة 325هـ/937م[9] في ولاية أبي العباس الكلابي[10]. كما هاجرت قبيلة نمير العامرية إلى شمال الشام والجزيرة الفراتية في أوائل القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي وملكوا حران والرقة[11] وسروج. وفي أوائل القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي سيطر فرع من بني نمير بزعامة عطير النميري على الرها[12] حتى انتزعها البيزنطيون منهم سنة 422هـ/1031م، أما حران وسروج، فبقيت في أيديهم حتى سنة 474هـ/ 1082م، حيث انتزعهما منهم مسلم بن قريش العقيلي[13]. كما فرضت فبيلة طيء أوائل القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي نفوذها على منطقة فلسطين وجنوب بلاد الشام، وقبيلة كلب اليمنية على منطقة دمشق وأواسط بلاد الشام، وكلاب العدنانية على حلب وأجزاء من بلاد الشام والجزيرة مثل الرحبة ومنبج[14].

على كل حال، يمكن أن نقسم القبائل العربية الشامية التي كانت في بلاد الشام في هذه الحقبة إلى أربعة مجاميع؛ المجموعة الأولى: تضم قبيلة ربيعة والفروع التي انبثقت عنها، أما المجموعة الثانية: فتتمثل بتلك القبائل التي انتشرت في المناطق الجنوبية من بلاد الشام، أما المجموعة الثالثة: فتضم عددًا من القبائل التي انتشرت وسط وشمال هذه البلاد، وثمة مجموعة رابعة كانت تعيش حياة مستقرة وتمارس الفلاحة، وهم العرب القيسيين واليمانيين

الذين توزعوا في أماكن مختلفة من بلاد الشام أبرزها غزة[15]، والبقاع وحوران[16]، هم الذين أطلقت عليهم المصادر اسم: العشير، أو العشران[17].

أما هجرة القبائل العربية إلى مصر، فقد ارتبطت بالفتح الإسلامي في عهد الخلفاء الراشدين -رضوان الله عليهم- بعد نجاحهم في فتح بلاد الشام، فقد وفدت قبيلة بلي من بلاد الشام إلى مصر سنة 22هـ / 644م، حيث استقرت في جنوبها[18]، وفي العهد الأموي انتقل الأزد من العراق إلى مصر بأمر من والي البصرة ونزلوا في الفسطاط[19]. وفي سنة 109هـ/ 728 م، جاءت قبائل قيس عيلان من الحجاز، وزادت هجرة العرب إلى مصر في عهد الخليفة المعتصم بالله العباسي بسبب اسقاطه العرب من ديوان الجند، حيث وفد أولاد الكنز من بني ربيعة واستقروا في أسوان[20] وأخذ العرب ينتشرون في مصر، واندمجوا بالسكان الأصليين، واشتغلوا بالمهن المختلفة، حث امتهنت قبيلة قيس الزراعة[21]، بينما اشتهر الجذاميون بالتجارة[22]، أما قبيلتي بلي وجهينة، فقد انخرطتا بالتعدين والتجارة[23].

ثانيا: دور القبائل العربية في جهاد البيزنطيين

كانت بلاد الشام هدفًا دائمًا لهجمات البيزنطيين أملاً في استعادة نفوذهم على بلاد الشام. وقد لعبت القبائل العربية دورًا كبيرًا في مواجهة اطماعهم والتصدي لهجماتهم المتكررة، لاسيما بعد ضعف الخلافة العباسية، وقد امتلك الحمدانيون زمام المبادرة في مجابهة البيزنطيين ونجحوا في حماية منطقة الجزيرة الفراتية وشمال الشام من الخطر البيزنطي، وقاموا بدور جهادي في هذا الاتجاه، حيث حقق سيف الدولة لحمداني انتصارات عديدة على البيزنطيين بدعم ومساعدة من القبائل العربية. وتبعهم في الجهاد القبائل العربية الأخرى، كالمرداسيين والطائيين وبني منقذ وبني نمير. فكان لهم دورًا حاسمًا في معارك المسلمين مع البيزنطيين خاصة قبيلة بني كلاب، الذين

حكموا حلب بزعامة صالح بن مرداس الكلابي بعد زوال الحمدانيين سنة 415هـ/ 1024م. ثم انتهز البيزنطيون ضعف الدولة الفاطمية، وضعف القبائل العربية لشن الغارات المتكررة على بلاد الشام، ومن المعروف أن بلاد الشام خلال العشرين السنة الأولى من القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي لم تتعرض لأي هجوم بيزنطي كبير، فقد تحسنت العلاقة بين الفاطميين والبيزنطيين، حتى أنه تم عقد هدنة بين الطرفين سنة هـ418/ 1027م[24]. ولكن بعد مقتل صالح بن مرداس في معركة الأقحوانة سنة 420هـ/1029م تجرأ البيزنطيون على مهاجمة حلب، غير أن ابنه نصر بن صالح بن مرداس، الذي استعاد ملك أبيه، تمكن من هزيمتهم هزيمة ساحقة في نفس السنة[25]. واستطاع أخوه ثمال بن صالح بن مرداس[26] السيطرة على حلب إلى لبنان وسد ثغور الشام وأسرج خيول بني كلاب على الروم فاستأصل فرسان الروم ولم يعد للروم غارات تذكر على حلب ولا على ثغور الشام فارتاح أهل حلب في عصره. وقد وصف القلقشندي بني كلاب: بقوله "وهم بأطراف حلب والروم، ولهم غزوات عظيمة معلومة وغارات لا تُعدّ وبنات الروم وأبناؤهم لا يزالون يُباعون من سباياهم"[27].

وخلال الربع الأول من القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي تصاعد الخطر البيزنطي على بلاد الشام، فقد انتهز الإمبراطور البيزنطي أرمانوس الثالث فرصة حدوث نزاع بين ابني صالح بن مرداس نصر وثمال، وقام بتجهيز حملة عسكرية كبيرة قادها بنفسه سنة 421 هـ –1030م لاجتياح بلاد الشام عامة وحلب خاصة، وسرعان ما تهاوت مناطق الثغور الشامية والجزرية وسقطت بيد قوات الإمبراطور البيزنطي، وبعد أن دخلت قواته مدينة انطاكية، أصبح الطريق مفتوحًا أمامه لاجتياح حلب، وتحقيقًا لهذا الهدف فرضت القوات البيزنطية حصارًا على المدينة تمهيدًا للاستيلاء عليها،

لكن أهلها صمدوا واستماتوا في الدفاع عنها حتى تمكنوا بفضل الله من دحر البيزنطيين[28]. ثم تمكن بنو منقذ الذين ينتمون الى قبيلة كنانة القحطانية من انتزاع شيزر[29] من البيزنطيين سنة 468هـ/1076م على يد علي بن مقلد بن منقذ[30]. وبذلك يتضح أن القبائل العربية شكلت سدًا منيعًا في وجه الأطماع التوسعية للبيزنطيين في بلاد الشام.

ثالثا: الحروب الصليبية

خلال القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي دخل الصليبيون بلاد الشام، واحتلوا مساحات واسعة منها، وكونوا كيانات صليبية في كل من الرها وانطاكية[31] وبيت المقدس وطرابلس[32]، في وقت كان العالم الإسلامي يعيش فترة ضعف وخمود؛ لذلك كان لابد من توعيته بحجم الكارثة التي حلت به، واستنهاض الهمم لطرد هذا المحتل الدخيل. فكان العلماء العرب هم من أمسك بزمام المبادرة لتحريض على الجهاد، بل إنهم شاركوا في جهاد الصليبين باللسان والبنان معًا. وفي طليعة هؤلاء: الفقيه العربي علي بن المسلم السلمي[33]، الذي يعد أول من حرض من العلماء على جهاد الصليبيين ومهد بكتاباته لعصر الإفاقة الإسلامية، وظهور قادة مجاهدين كعماد الدين زنكي وابنه نور الدين وصلاح الدين الأيوبي وغيرهم.

وقد بدأ السلمي دعوته بإثارة حماس الناس على الجهاد، وتحول إلى واعظ ومحرض على الجهاد بإلقائه الخطب والدروس في المساجد التي تنقل فيها عبر مدن بلاد الشام، حيث جسد ذلك في كتابه (**الجهاد**)، الذي جاء عقب سقوط بيت المقدس سنة(492هـ/1098م) وذكر فيه معارك الإسلام الأولى ودور المجاهدين، مع ذكر الآيات والأحاديث النبوية التي تحض على الجهاد وتبين مكانة المجاهدين، وهو أول من نبه إلى وحدة أهداف الحروب الصليبية سواء في الأندلس، أو في صقلية أو في بلاد الشام[34]. كما ألف العالم

العربي ابن عساكر[35] كتابًا احتوى على أربعين حديثاً عن فضائل الجهاد، وقد خصص ابن عساكر العشرة الأولى منها لتوضيح منزلة الجهاد بعد منزلة الإيمان بالله مباشرة لتحريض المسلمين على مواجهة الخطر الصليبي[36].

وبرز دور القاضي الفاضل أبو علي عبد الرحيم اللخمي[37] خلال الخروب الصليبية بالجهاد بالسيف والقلم، وتحريض القبائل العربية على الجهاد في سبيل الله، وشكلت مسألة الوحدة، والجهاد حيزًا مهمًا في فكره جاعلًا فتح بيت المقدس وتحريره من أيدي الفرنج سببًا موجبًا لتلك الوحدة، فوجه جل اهتمامه على الوحدة بين الشام ومصر، واتخذ القاضي الفاضل من احتلال الصليبيين لبيت المقدس دافعًا، ومحرضاً قوياً لصلاح الدين، وجنده، والمسلمين عامة، للجهاد في سبيل الله لتحريره منهم. لما له من أهمية دينية عند المسلمين[38]، وقد عبر عن رؤية موسعة للجهاد في رسالتين، كتب إحداهما إلى الخليفة المستضيء سنة 572 هـ/ 1174م ، يطلب تفويضاً لصلاح الدين بكل ما فتحه من بلاد؛ مصر كاليمن وبعض الشام[39]، والأخرى إلى المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بالمغرب، يطلب منه نجدة عسكرية في أثناء معركة عكا سنة 586هـ/ 1192م[40]، وصحب القاضي الفاضل صلاح الدين في جميع غزواته ببلاد الشام مثل غزة وعسقلان و أيلة سنة 566 هـ/ م1172، ومعركة الرملة[41] وعسقلان سنة 573 هـ/ 1177 م [42]، ثم أقام بمصر ليعمل على تجهيز الجيش، والأسطول[43]. وكان للقاضي الفاضل دور بالغ الأهمية أثناء حصار الصليبيين لعكا، حيث كان متواجداً بمصر آنذاك يدبر شؤونها نيابة عن صلاح الدين[44]، وكان من خلال موقعه هذا يرتب للسلطان أموره من تجهيز العساكر، وتعمير الأسطول، وحمل المال، ونقل الميرة إلى عكا، والسلطان يكاتبه في مهماته، وترجع أجوبته بأحسن عباراته مشيراً وناصحاً ومسلياً وباحثاً عن مصالح الإسلام[45].

وبالإضافة إلى ذلك برز دور القاضي العربي الأمير فخر الملك بن عمار الطائي[46] حاكم وقاضي طرابلس، فمنذ أن تولى حكم طرابلس سنة (492 هـ / 1098 م)، وقع على عاتقة مهمة الدفاع عنها وعن البلاد التابعة لها مثل عرقة[47] وانطرطوس[48] من العدوان الصليبي، وقد سلك أساليب عديدة في التصدي لهذا العدوان، ونجح في أن تبقى طرابلس بأيدي المسلمين حوالي إحدى عشرة سنة، قبل أن تسقط بأيدي الصليبيين، ويعود هذا الفضل إلى حنكته العسكرية وقوة عزيمته وإرادته[49] . حدث ذلك في الوقت الذي كان الأتابكة والأمراء التركمان منهمكين في خلافاتهم الداخلية غير عابئين بالتوسع الصليبي، أو معاناة طرابلس تحت حصارهم على الرغم من مكاتبات ابن عمار ورسله من طرابلس، بالاستصراخ والاستنجاد على الفرنج النازلين عليهم"[50]. عند ذلك التمس المعونة من دمشق بعد اشتداد ضغط الصليبين على المدينة، فخرجت حملة بقيادة الأمير العربي جناح الدولة[51] صاحب حمص لنجدة ابن عمار، ولكن سرعان ما تصدى الصليبيون لهذه الحملة وأوقعوا بها هزيمة قاسية[52].

وشارك القاضي العربي ابن الخشاب مشاركه فعلية في القتال إلى جانب قوات حلب وماردين في المعركة الشهيرة سرمدا[53] سنة 513هـ - 1119م، و كان من نتائجها الاجهاز على جموع القوات الصليبية التي يقدر عددها بما يقارب عشرون ألفًا[54]. كما شارك الشيخ أبو عمر بن قدامه العدوي القرشي المقدسي(ت 607 هـ/ 1210 م)، وأخوه الشيخ موفق الدين ابن قدامه(ت 620 هـ/ 1223 م)، في المعارك التي خاضها صلاح الدين ومنها فتح بيت المقدس، وقال عنهما ابن كثير: "وكان هو وأخوه وابن خالتهم الحافظ عبد الغني(ت. 600 هـ/ 1203 م)، وأخوه الشيخ العماد[55] لا ينقطعون عن غزاة يخرج فيها الملك صلاح الدين إلى بلاد الفرنج وقد حضروا معه فتح القدس والسواحل

وغيرها"[56] واستشهد عدد من الفقهاء والعلماء خلال المعارك حول عكا منهم العالم الشاعر الزاهد الشيخ جمال الدين أبو علي الحسين بن عبد الله الذي ينتهي نسبه إلى ابن رواحة الأنصاري الخزرجي[57] كما استشهد القاضي أبو يعلى بن الخشاب في إحدى معارك الأمير سوار نائب زنكي على حلب سنة 528هـ– 1133م، إذ كان بصحبة الأمير وهو يقاتل أمير حصن القدموس الصليبي في منطقة تدعى نواز من نواحي حلب[58].

أما عامة السكان العرب في بلاد الشام ومصر بدوهم وحضرهم، فكانوا في طليعة من تصدى للصليبيين واستمات في قتالهم. والحقيقة أن الوضع الجديد كان له أثره في حياة القبائل العربية في مصر وبلاد الشام، فقد وجدوا أنفسهم في مواجهة مع الصليبين. وكانت أكثر القبائل العربية تضررًا من الوجود الصليبي، هي تلك التي كانت تجاور مملكة بيت المقدس اللاتينية إلى الجنوب والشمال والشرق من البحر الميت، لذلك قاموا بشن غارات متعددة على الصليبيين بين سنتي493 هـ و495 هـ على الحقول الزراعية التابعة لمملكة بيت المقدس[59].

ومهما يكن من أمر، فقد استبسل العرب في قتال الصليبيين حتى سقط منهم آلاف القتلى. ومع بداية زحف لحملة الصليبية الأولى نحو القدس مارة بالمدن الشامية، كان العرب في جملة المقاومة الشعبية التي تصدت لها، حيث هاجموا مؤخرة الجيش الصليبي وهو في طريقه إلى حصار عرقة؛ حتى كمن لهم ريموند السانجيلي وفتك بهم[60]. وعندما قاد كربوغا[61] جيشه لإنقاذ انطاكية من الوقوع في أيدي الصليبين انضمت إليه أعداد هائلة من عساكر الشام من العرب والأتراك[62]، وكان على رأس العرب الأمير وثاب بن محمود المرداسي، ولكن ثارت فتنة زكَّاها رضوان من بعيدٍ برسائله المحفزة للتركمان ضد العرب[63].

وفي عام 498هـ/ 1104م جهز القائد الفاطمي الأفضل الجمالي[64] حملة من العربان بلغت خمسة آلاف فارس لتساند حملة النجدة التي ارسلها طغتكين[65] أتابك دمشق للمساعدة في صد الهجوم الصليبي على عسقلان[66]، وكان سكانها عشية الهجوم الصليبي على الأراضي المقدسة من قبيلتي لخم وكنانة[67]. وجاء توطن هاتين القبيلتين في تلك المدينة في اطار النهج الإسلامي بإقامة الثغور على السواحل وعند الحدود وملئها بالحاميات السكانية لا بالجنود فقط[68]. ويفهم مما ذكره ابن القلانسي، وهو يتحدث عن الوزير الفاطمي الأفضل خلال نزوله في عسقلان " منتظرًا وصول الأسطول من البحر والعرب"[69] أنه كان يترقب نجدة العرب القريبين من تلك المنطقة، حيث شاركت قبائل العربية في قتال الصليبيين في المناطق النازلة بها أو المتاخمة لهم. وانتهى صمود عسقلان[70] ذات الأكثرية العربية، أمام الصليبيين سنة \ 4931099، وهي سنة وصولوهم إلى بيت المقدس، بسقوط ربع سكانها العرب البالغ عددهم عشرة آلاف شهداء بعد أن هزُمت القوات الفاطمية المتمركزة خارج المدينة، ولم يقف أبناءها العرب موقف المتفرج على القتال الذي كان يجري خارج المدينة بل ساهموا في غارات الاستنزاف التي خاضتها القوات المصرية والشامية ودأبوا إلى جانب ذلك على شن الهجمات الفردية والجماعية على الفرنج المجاورين لهم وعلى نصب الكمائن للقادمين منهم بدعوى الحج أو الاستيطان فنشروا بينهم الخوف وعدم الاستقرار[71].

وفي أحداث سنة 495هـ، يذكر ابن العبري ما فعله العرب عندما بلغهم أن القائد الصليبي صنجيل في طرسوس، حيث عزموا على مهاجمته، وأقبلوا من طرابلس ودمشق وحمص وجرت بين الطرفين مواجهة عنيفة انتهت بمقتل نحو سبعة آلاف من العرب[72]، كما غزا القائد التركماني جكرمش الفرنج سنة

497هـ / 1103م في ثلاثة آلاف من العرب والأكراد والترك، وهزموهم شر هزيمة وقتلوا منهم عددًا كبيرًا[73].

وقد احتج أهل حلب من العرب يتقدمهم القاضي أبو الحسن بن الخشاب الهاشمي على رضوخ الملك رضوان حاكم المدينة لشروط أمير انطاكية الصليبي تنكرد في معاهدة الصلح التي جرت بين الطرفين سنة 496هـ – 1102م ومن بين شروطها المذلة أن يقوم رضوان بتعليق جرسًا على قمة قلعة حلب وأن يضع صليبًا على منارة جامعها، مما اثار هياج الحلبيين وأغضب القاضي ابن الخشاب، الذي أرغم الملك رضوان على العدول عن هذا الأمر ، مما استدعى أن يقوم الملك رضوان بمراجعة تنكريد ونجح في اقناعه بوضع الصليب أعلى بناية الكنيسة العظمى في حلب، وعاد الهدوء إلى المدينة بعدما عاشتا أوقاتاً عصيبة[74].

وبعد أن تمكن ربيعة من أحكام سيطرته على قبيلة طيء وأحلافها في بادية الشام وبادية العراق وترأس إمارة ربيعة انضم إلى جانب طغتكين أتابك دمشق لقتال الصليبيين، ثم اتصل بآل زنكي من أتابكة السلاجقة في الموصل والشام وخاصَّة نور الدين محمود زنكي الذي آل إليه شمال سوريا وحلب وصارت له ولأبيه عماد الدين زنكي زعامة الجبهة الإسلامية على الصليبيين، وقد حارب ربيعة مع الزنكيين أيام الخليفة المقتدي بأمر الله العباسي (467 - 487 هـ/ 1075 – 1094م) . واستشهد مرة في المعركة التي جرت بينه وبين تاج الملوك بوري بن طغتكين أمير أتابكية دمشق، لأنه كان يريد مهادنة الإفرنج فثار عليه مرة بن ربيعة وتقاتل معه[75]. وقام آل معن بدور واضح في مقاومة الصليبيين، وهم بطن من بني ربيعة أيضًا، سكن جدهم أيوب الجزيرة الفراتية وتكاثر بنوه تم رحل إلى حلب، وجعل يغزو الفرنج عند ظهورهم في إنطاكية سنة 502هـ [76]. وعندما سار طغتكين لمقابلة مودود للاتفاق معه على محاربة

الملك الصليبي، انضم إليهما في طبرية في 13 محرم سنة 506هـ، العرب من الطائيين والكلابيين، مما عزز فرصة النصر على الصليبيين -بإذن الله - فتراجعوا بعد ن تكبدوا خسائر فادحة[77].

ومهما يكن من أمر، فقد أدرك القادة التركمان والأكراد أهمية العرب في جهاد الصليبيين، ويمكن القول إن العرب بدوهم وحضرهم قدموا خدمات لا تنكر خلال الحروب الصليبية سواء كان ذلك عن طريق قتالهم في صفوف الجيوش الإسلامية كنظاميين أو متطوعة، أو عن طريق تقديم خدمات هامة كالتجسس، والعمل كأدلاء للجيوش الاسلامية، أو شن غارات خاطفة على معسكرات العدو، أو نصب الكمائن للجيوش الصليبية واستدراجها إليها.

وشكل العرب عنصرًا هامًا من عناصر الجيش الزنكي والأيوبي والمملوكي، فقد لجأ والي دمشق طغتكين إلى استخدام العرب في جيشه على نطاق واسع. وفي وقعة طبرية مع الفرنج سنة 507هـ/1113م، استدعى طغتكين العرب الطائيين والكلابيين والخفاجين واستعان بهم في القتال، فوصلوا في خلق كثير بالمزادات والروايا والابل لحمل الماء[78]. ولما طمع الفرنج في دمشق بعد استيلائهم على بانياس، لعب العرب بقيادة مرة بن ربيعة دورًا هامًا في احباط محاولة الصليبيين غزو دمشق، و انضم الى طغتكين بالعرب الواصلين معه وتفرقوا كراديس في عدة جهات[79].

وكانت قبيلة طيء تشترك مع جيوش أصحاب دمشق من آل طغتكين[80]، وآل زنكي والأيوبيين والمماليك في حروبهم ضد الصليبيين خاصة في منطقتي حوران والبلقاء مواطن آل ربيعة من طيء[81]. وكان اشتراك آل ربيعة في هذه الحروب إما على شكل متطوعة أو باعتبارهم قوات مساندة للجيش، فقد وقف مرة بن ربيعة إلى جانب آل طغتكين أصحاب دمشق في حروبهم مع الصليبيين[82].

وعندما علم والي صور عز الملك أنوشتكين بعزم بلدوين التوجه إليها، بادر بمراسلة طغتكين أمير دمشق يستصرخه ويستنجده، ويبذل له تسليم البلد إليه، وسأله المبادرة والتعجيل، فبادر بإنفاذ عسكر من الأتراك إلى صور وأردفهم بخلق من العرب[83]. ويصف ابن الأثير شجاعة بني ربيعة في إحدى مواجهتهم مع الصليبيين سنة 513هـ/1120م بقيادة جوسلين قائلاً: " وطعنت العرب خيولهم، فجعلوا أكثرهم رجالة ، وظهر من أميرهم شجاعة، وحسن تدبير، وجودة رأي، فقتل من الفرنج سبعون، وأسر اثنا عشر من مقدميهم"[84].

وبعد انتقال الأمير معن إلى سهل البقاع، أمره طغتكين أن يصعد بعشيرته إلى الجبال العالية من لبنان ويطلق الغارة على فرنج الساحل[85]. كما قام عرب بني طيء وكلاب بمهاجمة الصليبيين سنة 523هـ/1129م في منطقة حوران.[86]

وكانت القبائل العربية البدوية جيش قائم بذاته، على الرغم من انضمام عددًا من فرسانهم في جيش صلاح الدين ومنهم بنو منقذ أصحاب شيزر، والكنانية ينسبون إلى قبيلة بني كنانة المهاجرة من عسقلان بعد سقوطها في أيدي الصليبيين سنة548هـ/1153م، والتي حلت بعد رحيلها في دمياط، وهي القبيلة التي دلت صلاح الدين على المسالك والطرق في غزوته لغزة وعسقلان سنة573هـ/1177م[87]. وفي سنة 514هـ/1121م أغار جوسلين [88] على جيوش العرب والتركمان، وكانوا نازلين بصفين غربي الفرات، وغنم من أموالهم وخيلهم ومواشيهم شيئاً كثيرًا[89]. وهذا دلالة على أن العرب كانوا يقاتلون في صفوف الجيش الإسلامي.

ولم يكن خلف طغتكين أقل اهتمامًا بالقبائل العربية، للحاجة الماسة إليها في قواته، فقد بادر تاج الملوك بوري بتجريد الأتراك الدمشقيين والتركمان والعرب القادمين مع الأمير مرة بن ربيعة لملاقاة الفرنج في مناطق

حوران حول ناحية ((براق))، فحمل العرب والأتراك حملة هائلة واسروا الفرنج[90].

وعندما شن بوري غارة كبيرة على ولاية طرابلس جمع لها من التركمان والعربان عددا كبيرا وقتل من الفرنج طائفة عديدة[91]. كما استخدم نور الدين التركمان والعرب في شمال بلاد الشام لأسر الأمير الصليبي جوسلين، وكان التركمان والعرب يحيطون ببانياس والجولان عندما زحف اليها ملك القدس بلدوين[92]. زد على ذلك أن نور الدين زنكي فتح حارم[93] برجال المدن وعربان البر، وأسر من الفرنج خلقًا كثيرًا وفتح بانياس 94. وكان أمير تنوخ ظهير الدين بن بحتر حاكمًا على ثغر بيروت، فولاه نور الدين القنيطرة والبقاع وظهر الأحمر ووادي التيم وبرج صيدا والدامور، وكان له معاش أربعمائة فارس لمقاتلة الفرنج ، وكان آل تنوخ أكبر الطوائف التي حضرت من معرة النعمان[95]. وسار آل شهاب من حوران إلى وادي التيم خوفا من نزاع نور الدين وصلاح الدين وفتكوا بالفرنج في حاصبيا[96].

وقد تزايد بعد ذلك استخدام القبائل العربية في جيوش الشام ولا سميا في عهد معين الدين انر[97]، إذ كان يكاتب العرب كلما ألم به أمر من الصليبيين في الساحل وفي حوران والجولان[98]. كما اعتمد أسد الدين شيركوه (ت 564هـ/ 1169م) على القبائل العربية التي كانت تقطن مصر والشام، حيث كانت سنداً له وللحملة النورية، ومن القبائل التي انظمت إلى جيشه جماعة من لخم ومذحج وجذام[99]التي استبسلت في القتال حتى تم النصر بإذن الله للمسلمين. كما انظمت القبائل العربية الى شاور[100]في صراعة مع ضرغام والصليبيين. واستمال أسد الدين شيركوه "الأشراف الجعفريين والطلحيين القرشيين"[101]عندما توجه من قوص[102] إلى الاسكندرية بعد ما بلغه حصار الصليبيين وشاور لها " واتبعه جماعة كثيرة من العربان وأهل تلك البلاد. وبلغ

ذلك شاورًا فرحل هو والفرنج، واضطر إلى الصلح، وضجرت الفرنج أيضًا، فتوسط ملك الفرنج في ذلك، فتقرر أمر الصلح على أن شاورا يحمل إلى أسد الدين جميع ما غرمه في هذه السفرة، ثم يعطي الفرنج ثلاثين ألف دينار، ويعود كل منهم إلى بلاده "[103].

وبعد أن وحد صلاح الدين مصر وبلاد الشام تحت قيادة واحدة ومنحه الخليفة العباسي تفويضًا بحكمها مع اليمن والمغرب وغيرها اتجه لجهاد الصليبيين، فكانت القبائل العربية في طليعة المساندين له والمنضمين تحت لوائه لتحقيق هذا الهدف السامي، واغارت قوات صلاح الدين على الغور المحيط ببيسان واحتلته عنوة، وانظم معه في الجيش عدد كبير من قبائل العرب، وقد أغار العرب على جنين و اللجون وسهل يافا[104] حتى قاربوا مرج عكا، وممن استشهد من أمراء العرب زامل ومطرف وحجي من آل ربيعة أحد بطون طيء القحطانية[105].

وفي بداية عهد صلاح الدين تعرضت دمياط[106]لهجوم اسطول الصليبيين قوامه ألف ومئتي سفينة، وقبل أن يصل الخبر إلى صلاح الدين تطوع أهل دمياط، ومنهم قبيلة بني كنانة لصد الهجوم الصليبي[107]. وقد أشاد المقريزي بالدور الرائع الذي قام بها العرب اثناء حصار الفرنج لدمياط "والعربان تتخطف الفرنج في كل ليلة، بحيث امتنعوا من الرقاد خوفاً من غاراتهم، فلما قوي طمع العرب في الفرنج حتى صاروا يخطفونهم نهاراً، ويأخذون الخيم بمن فيها، أكمن الفرنج لهم عدة كمناء، وقتلوا منهم خلقاً كثيراً، وأدرك الناس الشتاء، وهاج البحر على مخيم المسلمين وغرّقهم، فعظم البلاء وتزايد الغم وألح الفرنج في القتال، وكادوا أن يملكوا، فبعث الله ريحاً قطعت مراسي مرمة الفرنج"[108]

وهكذا كان للتعاون بين قبائل العرب من بني كنانة بني مذحج وبني عدي وبين الجيش الأيوبي في الدفاع عن دمياط دور كبير بإذن الله في دحر العدوان الصليبي. ويبدو أن قسمًا منهم انضم إلى الجيش كجنود نظاميين، ففي العرض العسكري الذي أقامه صلاح الدين يوم8 محرم، سنة 567هـ/ 1117م كانت عدتهم سبعة آلاف فارس من العرب الجذاميين، ثم خفض عددهم إلى ألف وثلاثمائة فارس وكذلك خفّض مقدار ما كانوا يأخذونه إلى العشر أي إلى مائة ألف دينار، وهذا ما فعله مع العرب الثعالبة أيضًا. وإضافة إلى هؤلاء فإن جماعات من العرب تعاونوا مع صلاح الدين رغبة في الجهاد، أو للحصول على غنائم كجنود غير نظاميين. كما حصل مع نورالدين الذي تعاون مع عرب الشام من أمثال بني بحتر القحطانيين الذين أقرهم نورالدين على ما بأيديهم.

وعندما هاجم وليم الثاني النورماندي ملك صقلية ثغر الاسكندرية بأسطول مكون من مئة وثمانين سفينة سنة 569هـ\1174م ونجحوا في اغراق بعض السفن الإسلامية التي كانت راسية قبالة الساحل، ثم نزلوا إلى الشاطئ[109]، حيث تصدى لهم سكان الإسكندرية ومن ضمنهم القبائل العربية التي استبسلت في القتال حتى سقط منهم عدد من الشهداء[110]. كما ذكر القاضي الفاضل أن السلطان صلاح الدين استدعى أخيار البلاد الشامية وعشائرهم، وكتائب من التركمان، وحمل إليهم الأموال وآلات القتال، ومن بينها المنجنيقات وعددها، وسلاليم لمرمى القلاع ومصعدها. وسار بهذا الجيش الجرار إلى المخاضة في يوم السبت 19 ربيع الأول سنة 575 هـ / 25 أغسطس 1179 م[111]. أما عرب بني عوف، فقد شاركوا في بناء قلعة عجلون مع الأمير أسامة بن منقذ[112]، وتتبع عرب الكرك[113] ملوك الفرنج الذين هربوا أمام القائد

الأيوبي حسام الدين لؤلؤ سنة578 هـ/ 1182م، وشاركوا أيضًا في معركة حطين[114] ضد الصليبيين 583هـ/ 1187م[115].

وقد استمر عرب آل فضل، ومن التف حولهم من خلفائهم العرب في الحفاظ على أمن الدولة، فشاركوا العساكر المملوكية في محاربة الفرنج الصليبيين في حصن الأكراد سنة 664 هـ/1264م، بأَلْفَي فارس كان على رأسهم الأمير عيسى بن مهنا الذي جرح في المعركة. وقد وصف ابن عبد الظاهر دور هؤلاء الفرسان في المعركة، فقال :أنهم" **جاهدوا أتم جهاد**"[116].

كما كان للعرب دور واضح خلال حصار الحملة الصليبية الثالثة على مدينة عكا سنة 585 هـ/ 1189م، وكانت المعركة التي وقعت في مرج عكا من أِشد هذه المعارك عليها، مما جعل بعض المؤرخين يطلق عليها "المصاف الأعظم" أو "الوقعة العظمى"[117]، واستشهد في هذه المعركة من العرب الفقيه أبو علي رواحة[118]، والقاضي المرتضى بن قريش المخزومي[119]، الذي كانت له مواقف عديدة في مشاركة المسلمين في محاولاتهم فك الحصار الذي ضربه الصليبيون على عكا، ولكنه استشهد في يوم الجمعة سنة 586 هـ/ 1190 م[120]. كما شارك العرب خلال العمليات الاستشهادية ضد الصليبيين، والتي دارت رحاها في فلسطين، ففي سنة 23 رمضان 587 هـ/1191م ، قامت قوة من العرب بالتسلل داخل المعسكر الصليبي أمام عكا وقامت بخطف عدد من الصليبيين وأسرهم[121].

وقد ذكر أسامة بن منقذ أسماء كثير من فرسان القبائل العربية الذين قاتلوا الصليبيين بشجاعة وإقدام ابتغاء وجه الله لا لطلب الشهرة والسمعة كما كان الصحابة رضوان الله عليهم يقاتلون للجنة [122]. بل إن الصليبيين كانوا معتادين على رؤية المقاتلين العرب، فكانت سحنتهم وأشكالهم مألوفة لديهم بسبب كثرت الاحتكاك بهم خلال المعارك، لذلك كانوا يستطيعون

تمييزها من بين العرقيات والأجناس في بلاد الشام ومصر، حتى أن أسامة ابن منقذ يذكر موقفًا طريفاً حدث له بسبب سحنته العربية أثناء سيره في أحد أسواق الصليبيين، وكاد يودي بحياته، حيث قال: إنه كان " مجتازاً في السوق وامرأة إفرنجية تعلقت بي وهي تبربر بلسانهم وما أدري ما تقول. فاجتمع علي خلق من الأفرنج فأيقنت من الهلاك. وإذا ذلك الفارس قد أقبل فرآني، فجاء فقال لتلك المرأة مالك ولهاذ المسلم؟ قالت هذا قتل أخي عرس، وكان هذا عرس فارساً بأفامية[123] قتله بعض جند حماة. فصاح عليهم وقال هذا رجل برجاسي أي تاجر لا يقاتل ولا يحضر قتال وصاح على أولئك المجتمعين، فتفرقوا وأخذ يدي ومضى"[124].

وكان أسامة نفسه فارسا مقدامًا، فقد قال عن نفسه: " فلما رأيت الإفرنج قد وصلوا إلى الناس هان علي الموت"[125] وخاض حروب كثيرة مع الفرنج، أظهر فيها ضروب الشجاعة والاستهانة بالموت في سبيل الله مثل معركة قنسرين[126]، ودمشق التي خاض فيها حروب عدة[127]، وقاتل الصليبيين في عسقلان مع أخيه عز الدولة أبو الحسن علي، الذي استشهد في هذه المعركة[128]. وكان عمه يبعثه لقتال الصليبيين[129]. وأسر الصليبيين أخاه نجم الدين أبا عبدالله محمد في طريق عودتهم من مصر إلى بلاد الشام[130]. كما يفهم من عبارته "**وكان الوالد، رحمه الله، كثير المباشرة للحرب وفي بدنه جروح هائلة، ومات على فرا شه**"[131] كثرة خروج والده لجهاد الصليبيين.

وأشار في مواضع كثيرة إلى فارس يدعى جمعه، وهو من بني نمير[132]، ومن ذلك ما ذكره تحت عنوان" **أسامة وجمعة يهزمان ثمانية فرسان** "يقول:" ورأيت جمعة النميري- رحمه الله -وفيه نصف قنطارية قد طعن بها في لبد السرج وخرج الرمح من البدّاد إلى فخذه، ونفذ إلى خلفه، فانكسرت القنطارية فيه، فارعني ذلك .فقال :لا بأس، أنا سالم .ومسك سنان القنطارية وجذبها منه، وهو

وفرسه سالمان .فقلت: يا أبا محمود، أشتهي أتقرّب من الحصن أبصره .قال: سر .فرحت أنا وهو نُخبّ فرسينا، فلما أشرفنا على الحصن إذا من الإفرنج ثمانية من الفرسان وقوف على الطريق وهي مشرفة على الميدان من ارتفاع لا ينزل منه إلا من تلك الطريق، فقال لي جمعة" قف حتى أريك ما أصنع فيهم. قلت :ما هذا إنصاف، بل نحمل عليهم أنا وأنت .فحملنا عليهم فهزمناهم" [133]. كما تحدث عن فارس آخر يدعى ندى بن تليل القشيريّ [134].

كما شارك البدو في العديد من الكمائن العسكرية التي خطط لها صلاح الدين بهدف قطع خطوط التموين والإمداد عن الصليبين لتجويع العدو وإضعافه[135] ومن ذلك واقعة عنونها ابن شداد "**واقعة الكمين** " " أمر السلطان الحلقة أن كمنت للعدو في بطون أودية هناك واستصحبوا جماعة من العرب فلما استقر الكمين في موضعه ظهرت العرب على جاري عادتها في مناوشتها العدو .....فانهزم العرب بين أيديهم إلى جهة الكمين والعدو يتبعهم طمعاً حتى قاربوا الكمين فخرج الكمين عليهم وصاحوا بهم صيحة الرجل الواحد..... وكان السلطان قد ركب متشوّفًا أخبار الكمين وكنت في خدمته وكان أول من دخل من الوقعة ووصل جماعة من العرب ومعهم خمس رؤوس من الخيل"[136].

وخلال حملة الصليبية السابعة على مصر، أبلى العرب بلاء حسنًا خلال المعارك التي دارت بين المسلمين والصليبيين، ففي معركة المنصورة 647 هـ/ 1249م، أسروا الكثير من الجنود الصليبيين [137]. ولما هاجموا دمياط سنة 648هـ/1250م جمع السلطان :" العربان والمطوعة وخلقاً لَا يعلمهُمْ إِلَّا الله فَجَاءُوا من كل فج عميق وَمَكَان سحيق.... فَلَمَّا أَصْبَحْنَا يَوْم الْأَرْبَعَاء قتلنَا مِنْهُم ثَلَاثِينَ ألفا غير من ألْقى نَفسه فِي اللجج وَأما الأسرى فَحدث عَن الْبَحْر وَلَا حرج"[138]. وكان حول دمشق وعلى مشارفها الشرقية القريبة وفي أواسط قبيلة

بني كلب ولا سيما حلة كلثوم بن حسان بن مسمار الكلبي[139]، ويقع جنوب منزله حلة مرى بن ربيعة من طي وفي فلسطين عرب الجراح من طيء أيضًا، الذين أقلقوا الصليبيين في تحركاتهم وغزواتهم المفاجئة عليهم في الأرياف والبوادي وخلال مسير الجيوش الفلسطينية في الشقة الساحلية[140]، فكان بنو هوبر وحلة بني ربيعة حول عسقلان تتخطف القوافل .

وواصل البدو في المناطق المحررة شن غاراتهم على الصليبيين، فبعد توقيع معاهدة يافا 627هـ \1229م ومغادرة الإمبراطور فردريك عكا تعرضت القدس لهجوم من قبل البدو ، فتصدى له الصليبيون وأفشلوه[141]، وفي سنة 663هـ\ 1264م قامت جماعة من العرب والتركمان بمهاجمة أسوار عكا، وأسروا جماعة من الصليبيين، كما شارك البدو الذين استقروا خارج حدود المملكة الصليبية في مقاومة الاحتلال الصليبي كقبيلة طيء التي كانت تشترك مع آل طغتكين[142]، وآل زنكي والأيوبيين والمماليك في حروبهم ضد الصليبيين خاصة في منطقتي حوران والبلقاء مواطن آل ربيعة من طي ء[143]. ولما عزم الملك العادل (538هـ-615هـ) على دخول بلاد الفرنج أمر ولده الأشرف أن يغير عليها، فاستدعى الاشرف عساكره وحضر عنده عرب طيء في ظاهر حلب ووصل إليه أمير العرب مانع بن حديثه في جمع عظيم من العرب من آل الفضل[144].

واتبع السلاطين المسلمون الزنكيون والأيوبيون والمماليك سياسة تهدف إلى استقطاب قبائل العرب وضمان تحالفهم معهم. فقد أدرك عماد الدين زنكي ما كان عليه واقع القبائل العربية في بلاد الشام بإيجابه وسلبه، وعمل على كسبها في إطار خطة اعتمدت وسائل ناجعة حاولت بموجبها حل ما كانت تعانيه من مشكلات، وتحويلها إلى قوة مساندة لها، وكان على رأس ذلك استمرار منصب أمير عرب الشام كما كان في عهد طغتكين والذي يمكن معه تنظيم علاقة الدولة بالقبائل العربية الشامية مع احتفاظهم بالأمير[145]، ربيعة بن حازم الطائي[146]

التي أخذت القبيلة اسمها منه أميراً لعرب الشام، كما أدرك الزنكيون أهمية الموقع الذي احتله البحتريون[147] التنوخيون من أمراء الغرب، والذين تمتد ديارهم في بيروت وأعمالها مجاورين لإمارتي انطاكية وطرابلس الصليبيين[148]، فقام نور الدين محمود زنكي سنة 552هـ/1157م بإصدار مرسوم اعتبر فيه طاعة أمير الغرب كرامة بن بحتر من طاعة الدولة[149]، وجاء فيه: "من أطاعه فقد أطاعنا، ومن عاونه في جهاد الكفار، فقد عمل برضانا، وكان مشكوراً منا، ومن خالفه في هذا الأمر وعصاه، فقد خالف امرنا"[150]. ، مما يعكس تقدير نور الدين زنكي لجهود لأمير كرامة بن بحتر في جهاد الصليبيين، وحفاظه على التزامه بذلك.

وذكر ابن خلدون أن قبيلة آل فضل الطائية كانت محل دعم سلاطين الأيوبيين والمماليك حيث كان لها دورًا بارزًا في حرب الصليبيين. وأبلى أميرها عيسى بن مهنا[151] ومعه فرسانه من العرب البالغ عددهم ألفي فارس بلاءً حسنًا في المعارك التي خاضها الجيش المملوكي ضد الصليبيين في بلاد الشام سنة 664هـ/ 1266م، ونجا من الموت في إحدى هذه المعارك حيث أصيب بجرحين بالغين، وتمكن المسلمون من استعادة القلاع والحصون التي استولى الصليبيون عليها[152]. وهذا يوضح الدور الفاعل لإمارة آل فضل العربية في جهاد الصليبيين، مما نتج عنه انتزاع الكثير من المدن والقلاع الإسلامية بالشام من أيدي الصليبيين[153].

ولا تختلف سياسة المماليك تجاه القبائل العربية في بلاد الشام ومصر عن الزنكيين والأيوبيين في سعيها لاحتوائها وكسبها لصالح الدولة، كما أن هذه القبائل تصرفت بما يؤكد طاعتها للسلطان الجديد الأشرف خليل، وكان من أوائل من قدم إلى القاهرة لتهنئته بالسلطنة أمير عرب الشام مهنا بن عيسى وقام بتقديم التقادم له في المحرم من سنة690هـ/ 1291م [154]، وقد كان للأمير نفسه

ومن يرتبط به من عرب الشام، دور كبير في مساندة السلطان في المعارك التي خاضها سنة 690هـ/ 1291م مع الصليبيين[155]، أو خلال حملته على سلاجقة الروم[156]، وتأكدت هذه العلاقة الإيجابية خلال السنتين التاليتين، فقد زار الأمير مهنا السلطان عند وصوله إلى مدينة حماة[157]في السنة التالية 691 هـ/1292م وقدم عدداً من الخيول والجمال هدية له[158]، وقابل السلطان الأشرف خليل (689-693هـ/ 1290-1293م) تصرفه بالمثل فأرسل له مجموعة ثمينة من الهدايا [159]. ومن المرجح أن يكون قد أراد كسبهم خاصة أن أراضيهم كانت تجاوز مواقع الصليبيين عند السواحل الشامية[160].

كما عمل العرب كأدلاء للجيوش الإسلامية، فقد اعتمد نورالدين على العرب القاطنين في الأقسام الجنوبية من بلاد الشام للعمل معه كأدلاء في مصر والشام. وأظهرت الأحداث اللاحقة أنهم يقومون بدور الأدلاء في جيش صلاح الدين. وساهموا أيضًا بفعالية في تأمين المؤن للجيوش الإسلامية، خاصة بعد أن ازداد النفوذ الصليبي ونجح سنة 509هـ/ 1115م في الهيمنة على طرق المواصلات والحج جنوبي بلاد الشام في كل من الأردن وفلسطين[161]، مع غياب الدور الفاعل للدولتين العباسية والفاطمية في صد الصليبيين.

وكان جل اعتماد دمشق على ما تحمله قوافل العرب من الغلال في حوران لتأمين تموين هذه المدينة الكبيرة ، فكان على والي دمشق أن يسير النجدات إلى بلاد الشام الشمالية والوسطى ، وأن يسير عسكرا إلى حوران لايناس قبائل العرب وحفظ أطرافهم لنقل الغلال على جمالهم إلى دمشق على جاري العادة [162]. وفي عهد نور الدين أصبحت حوران قاعدة تموين وهجوم على الصليبيين، فكان يعسكر بالقبائل العربية فيها ويحفظ العرب الجلابين للغلال ويشن الغارات على الصليبيين بالتركمان والعرب في قلاعهم الساحلية والجبلية ما بين بانياس[163] وطبرية وهونين في جبل عاملة[164].

وهكذا ازداد اعتماد الأمراء والحكام في بلاد الشام على دعم القبائل العربية ولا سيما قبيلة ربيعة من طيْ بن كهلان من القحطانية ، والتي انتشرت في طول البادية الشامية ولا سيما في وسط البلاد وحول المدن .

الخاتمة:

بعد هذه الاستقراء التاريخي لدور العرب في مقاومة العدوان الصليبي على بلاد الشام ومصر، معتمدًا على المصادر الإسلامية التي عاصرت تلك الفترة. استطاع البحث أن يخرج بالنتائج التالية:

إذا كان العرب قد تنحوا عن مسرح السياسة، فهم لم يتنحوا عن مسرح الجهاد، حتى وإن كانت القيادة غير عربية. فما كان العرب ليتخاذلوا عن الجهاد خاصة وهم يشكلون الأكثرية الكاثرة في المناطق التي رزئت بالغزو الصليبي ، والثابت تاريخيًا أن الهجرات العربية المتتالية على بلاد الشام ومصر سواء قبل الفتح الاسلامي و بعده أدت الى تعريب المنطقة، بل إن أول من ملك بلاد الشام هم العرب؛ ولم تطل حياه عنصر في الشام كما طالت حياه العرب، حيث اندمج فيهم عامة الشعوب القديمة واستعربت فلم تعد تعرف غير العربية لسانًا؛ فكيف يتخاذل العرب بدوهم وحضرهم عن الدفاع عن أرضهم وديارهم، بل كيف يتخاذل العرب عن الجهاد وهم أصل الإسلام ومادته. ولكن بما أن السلطة في ذلك الوقت كانت بيد التركمان والأكراد ، فمن الطبيعي أن يكون التركيز على هذين العنصرين أكثر من غيرهما من سكان بلاد الشام ومصر خلال عصر الحروب الصليبية.

اتضح من خلال البحث أن العلماء العرب هم أول من اذكى روح الجهاد في نفوس الأمة، وأشعل شرارة المقاومة الأولى، ومهد لظهور عصر الإفاقة الإسلامية الذي تمخض عنها معارك التحرير الخالدة التي أدت في نهاية المطاف إلى طرد الصليبين من آخر معقل لهم في بلاد الشام.

كما اثبت البحث أن القادة التركمان والأكراد لم يكونوا قادرين على دحر الصليبيين وكسر شوكتهم بجيش مكون فقط من هذين العنصرين، لكنهم استطاعوا تحقيق ذلك بمساندة سكان بلاد الشام ومصر من العرب و غير العرب. فكان العرب عتصرًا هامًا في معارك التحرير، فقد قدم العرب بدوهم وحضرهم خدمات لا تنكر خلال الحروب الصليبية لدحر العدوان الصليبي سواء كان ذلك عن طريق قتالهم في صفوف الجيوش الإسلامية كجنود نظاميين أو متطوعة، أو عن طريق تقديم خدمات هامة كالتجسس، والعمل كأدلاء للجيوش الاسلامية، أو شن غارات خاطفة على معسكرات العدو، أو نصب الكمائن للجيوش الصليبية. وهذه الحقيقة أدركها كبار قادة الجهاد في ذلك الوقت أمثال صلاح الدين الأيوبي وعماد الدين زنكي وابنه نور الدين ؛ لذلك حرصوا على استقطاب العرب وضمهم إلى جيوشهم. بل إن مستشاريهم كانوا من العرب كالقاضي الفاضل الذراع الأيمن لصلاح الدين الأيوبي، والعقل المخطط لمعارك الفتح.

الهوامش :

1. موسى، تيسير، نظرة عربية على غزوات الافرنج من بداية الحروب الصليبية حتى وفاة نورالدين، ليبيا ،الدراسات العربية للكتاب (1983م)، ص 12.
2. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت808هـ)، تاريخ ابن خلدون المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، بيروت، دار الكتب العلمية،ط1 (1413هـ)، 21/2 وما بعدها.
3. علي، محمد كرد، خطط الشام، (د. ط، بيروت، 1391هـ/1971م)، 1/ 63.
4. علي، خطط الشام، 1/ 63.
5. ابن القلانسي، أبو يعلي حمزة (ت 555هـ)، ذيل تاريخ دمشق، نشر وتحقيق، سهيل زكار، دمشق،(1403 هـ)، ص 1.

6. الدباغ، مصطفى، بلادنا فلسطين، دار الطليعة، د. ط، بيروت،(1972م) ، ص 466. وطبرية: بلدة مطلة على بحيرة طبرية في الأردن، انظر عنها: ياقوت، أبو عبدالله شهاب الدين ياقوت الحموي (ت 626هـ)، معجم البلدان، تحقيق، فريد عبد العزيز الجندي، بيروت، دار الكتب العلمية (د.ت) ، 4/ 17؛ دانيال الراهب، وصف الأرض المقدسة في فلسطين 1106م – 1107م، ترجمة، سعيد البيشاوي وداود أبو هدية، دار الشروق، ط1، عمان، (2003م) ص89. وهي اليوم في فلسطين. انظر: مؤنس، حسين، أطلس تاريخ الإسلام، القاهرة، ط1، الزهراء للإعلام العربي، (1407هـ) ، ص415 – 416.
7. ابن خلدون، المبتدأ والخبر ، 2\ 372.
8. الشيخ، محمد محمد مرسي، الإمارات العربية في بلاد الشام في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين، الإسكندرية، ط 1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (1980م)، ص 23. وذكر المؤرخون أنه في عام 415 هـ/ 1024 م. عقد أمراء ثلاث قبائل في بلاد الشام هي طيء وكلب وكلاب حلفًا هدف إلى تقسيم بلاد الشام إلى مناطق نفوذ بينهم، وكان توزيع هذه المناطق على الشكل التالي أن تكو ن فلسطين لحسان بن الجراح، ودمشق وما ينسب إليها لسنان ،وحلب لصالح بن مرداس انظر عنه: ابن العديم، كمال الدين عمر بن أحمد (ت 660هـ)، بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق، سهيل زكار، دمشق ، (1409هـ) ، ص 126،127 .
9. ابن العديم، المصدر السابق، 18/1.
10. هو أحمد بن سعيد بن عباس بن الوليد أبو العباس الكلابي ولي مدينة حلب في سنة 325هـ، في سنة 333هـ دخل سيف الدولة حلب وصرفه عنها. انظرعنه: ابن العديم عمر بن أحمد (ت 660هـ)، زبدة الحلب في تاريخ حلب، تحقيق، سهيل زكار، دار الكتاب العربي، ط1، دمشق، (1418هـ/ 1997م)، ص 760؛ ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد (ت 681هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق، إحسان عباس، بيروت، دار صادر(د.ت)، 405\3.
11. الرقة : هي مدينة مشهورة عل الفرات بينها وبين حران ثلاثة ايام في بلاد الجزيرة تقع على جانب الفرات الشرقي . انظرعنها: المقدسي، محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت 375هـ/985م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق، غازي

ظليمات، دمشق، د. ط، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي، (1980م) ، 162/1 ؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان ، 58/3 .

12. الرها أو Edesse : مدينة جنوب تركيا تعرف اليوم بـ (أورفا) urfa بناها السلجوقيون، واحتلها الرومان، قدسها النصارى منذ القرن الأول الميلادي، اشتهرت مدرستها اللاهوتية في القرن 4 و 5 الميلاديين، انظر: الحميري، الروض المعطار، ص273 – 274؛ لسترنج، كي، بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة، بشير فرنسيس وكوركيس عواد، بيروت،ط2، مؤسسة الرسالة،(1405هـ/ 1985م) ، ص135.

13. ابن الأثير الجزري، علي بن محمد (ت 630هـ) ،الكامل في التاريخ، تحقيق ،عمر عبد السلام تدمري، بيروت، ط1، دار الكتاب العربي، (1417هـ)، 312/9، 347. ومسلم العقيلي هو: شرف الدولة مسلم بن قريش العقيلي كان من كبار العقيليين أمير الموصل وحلب قضى على بنى مرداس. في عهده بلغت الدولة العقيلية أوج سلطانها. انظر عنه: ابن العديم، زبدة الحلب، 91/2-100؛ ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم (ت 697هـ/1297م)، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق: جمال الدين الشيال، القاهرة، د. ط،(1377هـ)، 18/1.

14. الغامدي، علي محمد، بلاد الشام قبيل الغزو الصليبي، مكة الكرمة، ط 1، 1404هـ/ 1984 م، ص 46.

15. غزة: وتعرف بغزة هاشم، وهو هاشم بن عبد مناف، وبها قبره، وهي نشز مرتفع على البحر، انظر: ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ص246. وهي اليوم في فلسطين ولا زالت تحتفظ باسمها. انظر: مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، ص415 – 416.

16. حوران: هي كوره من أعمال دمشق من جهة القبلة، وهي ذات قري كثيرة ومزارع. انظر عنها: ياقوت الحموي، معجم البلدان، 2 /317.

17. الذيابات، آمنة عودة ، القبائل العربية في بلاد الشام في السياسة المملوكية (658-784هـ)، رسالة دكتوراه، الكرك، جامعة مؤته، (2006م)، ص 37-40 .

18. المقريزي، أحمد بن علي(ت845هـ)، البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب، جوتنجن، ألمانيا، (1847 م) ، ص 106.

19. المقريزي، المصدر السابق، ص 68.

20. المقريزي، المصدر نفسه، ص44.
21. المقريزي، نفسه، ص 68؛ السيد، محمود، القبائل العربية في مصر في عصر الدولتين الأيوبية والمملوكية، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة،(1998م)، ص 4.
22. ياقوت الحموي، معجم البلدان، 183/3؛ السيد، القبائل العربية، ص 4.
23. اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب (ت بعد 292هـ)، البلدان، بيروت، دار بيروت للطباعة والنشر (1400هـ) ، ص232؛ السيد، القبائل العربية، ص 4.
24. المقريزي، أحمد بن علي(ت845هـ)،اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق، محمد حلمي، القاهرة، لجنة إحياء التراث الإسلامي، (1917/1390م)، 176/2؛ والمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، بيروت، د. ط، دار صادر، د. ت ، 355/2؛ الغامدي، الشام قبيل الغزو الصليبي، ص 71.
25. ابن العديم، زبدة الحلب، 237/1؛ ابن الأثير، الكامل، 231/9؛ الغامدي، الشام قبيل الغزو الصليبي، ص 71.
26. ثمال بن صالح بن الزوقلية الأمير معز الدولة أبو علي الكلابي رئيس بني كلاب ، تملك حلب وغيرها، وكان شجاعًا أغنى أهل حلب بماله وأحسن إلى العرب، عزله المستنصر بالله الفاطمي ثم رده، توفي سنة ٤٥٤هـ. انظر عنه: الطباخ الحلبي، اعلام النبلاء، 1\302.
27. المقريزي، أحمد بن علي(ت845هـ)،قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، القاهرة، ط2، دار الكتاب المصري، (402هـ/1982م)، ص 117.
28. ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ص43؛ ابن العديم، زبدة الحلب، 210/1-205.
29. شيزر: بالكسر ثم السكون، وهي شير وزيادة الزاي للنسبة، من قرى سرخس شبيهة بالمدينة بينهما مسيرة يومين على لجمال، بها سوق عامرة وخلق كثير وجامع كبير، انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، 3/ 382.
30. ابن الوردي، أبو حفص عمر بن المظفر عمر بن محمد (ت749هـ/1349م)، تتمة المختصر في أخبار البشر، النجف، المطبعة الحيدرية،(1389هـ/1969م)، 90.89/2. وعلي بن منقذ هو: علي بن المقلد بن نصر بن منقذ بن محمد بن منقذ الغساني الأمير المعروف بسديد الملك صاحب شيزر، أديب فاضل، اشترى حصن

شيزر من الروم. انظر عنه: ابن عساكر، علي بن الحسن (ت 571هـ)، تاريخ مدينة دمشق، وذكر فضلها، وتسمية من حلها من الأماثل، أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها، تحقيق، محب الدين سعيد بن عمر بن غرامة العمروي، بيروت، دار الفكر (1415هـ)، ص 249.

31. أنطاكية: تقع على نهر سوديا على بعد ثمانية فرستات من البحر تعد من أجمل المدن السورية، وتأتي بعد مدينة دمشق في الجمال والروعة. انظر: دانيال الراهب، رحلة دانيال، ص89؛ لسترنج، كي، فلسطين في العهد الإسلامي، ترجمة، محمود عمايري، عمان، ط1، جمعية المطابع التعاونية، (1970م) ص302.

32. طرابلس: لفظة يونانية مركبة معناها " ثلاث مدن " وهي مدينة عظيمة، لها سور من حجر منيع، وضياع جليلة، والبحر يأخذها من ثلاث جهات لها، وينضاف إليها عدة حصون، انظر: ابن شداد؛ محمد بن علي بن إبراهيم (ت 684هـ/1285م)، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة (تاريخ لبنان والأردن وفلسطين)، تحقيق، سامي الدهان، دمشق، المعهد الفرنسي للدراسات العربية،(1382هـ/1962م)، ص104.

33. هو علي بن المسلم بن محمد بن علي بن الفتح أبو الحسن السلمي، الدمشقي، الفقيه الأشعري، برع في الفقه، ورافق الغزالي ودرس في حلقاته بالجامع مدة. ثم ولي تدريس في المدرسة الأمينية سنة 514 هـ/1120 م. وله مصنفات في الفقه والتفسير، انظر عنه: ابن القلانسي، الذيل، ص 166؛ الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد الشافعي (ت 748هـ/1348م)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق، عمر عبد السلام تدمري، بيروت،) 1415هـ) ، ج 36 ، ص 327 328 ؛ الصفدي، صلاح الدين خليل بن إيبك (ت 764هـ)، الوافي بالوفيات، تحقيق، هلموت ريتر، فيسبادن، ط2، دار فرانز شتاينر للنشر، (1381هـ)، 7/ 64؛ اليافعي، عبداللّه بن سعد (ت 768هـ)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، القاهرة، ط2، دار الكتاب الإسلامي، (1413هـ)، 2\ 18 ؛ ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن أحمد (ت 1089هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، بيروت، ط2، دار المسيرة، (1399هـ) ، 4، \101.

34. حلواني، أحمد عبد الكريم، ابن عساكر ودوره في الجهاد ضد الصليبيين في عهد الدولتين النورية والأيوبية ، دار الفداء للدراسات والنشر،1411هـ/ 1991م،ص 40، 41.

35. هو أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله، ولد بدمشق سنة 490 هـ/ 1096 م، وتلقى ثقافته الأولى في الفقه والحديث بدمشق، طاف عدة بلدان في طلب العلم حتى استقر في الشام وأصبح من كبار الفقهاء الشافعية. له مؤلفات في الحديث والتاريخ. توفي سنة 571 هـ/ 1175 م. انظر ترجمته: ابن خلكان، وفيات الأعيان،1/ 335؛ أبو شامة، شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي (ت665هـ/1267م)، كتاب الروضتين في أخبار الدولتين، بيروت، ط2، دار الجيل، د. ت ، 1\ 261 ،10 ؛ ابن العماد، شذرات الذهب، 4\ 239.

36. حلواني، ابن عساكر، ص 113 ؛ الصلابي، علي محمد، عصر الدولة الزنكية، القاهرة، ط1، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع،(1428هـ/2007م)،2\ 37.

37. هو أبو علي عبد الرحيم بن علي بن القاضي الأشرف بهاء الدين أبي المجد علب بن القاضي السعيد أبي محمد الحسن اللخمي البيساني العسقلاني، من قبيلة لخم العربية العريقة، كان مستشار صلاح الدين الأيوبي، وكان أبوه قاضي عسقلان. انظر عنه: ابن خلكان، وفيات الأعيان، 7/ 222-220؛ أبو الفداء، إسماعيل بن علي (ت 732هـ)، تاريخ أبي الفداء المسمى المختصر في أخبار البشر، تحقيق، محمود ديوب، بيروت، ط1، دار الكتب العلمية، (1417هـ) ، 2/ 355 ؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، 6/ 128 ،127 ،126 ؛ المقريزي، أحمد بن علي(ت845هـ)، السلوك في معرفة الملوك، تحقيق، محمد بيضون، بيروت، ط1، دار الكتب العلمية،(1418هـ\1997م)،3\26 .

38. المقريزي، اتعاظ الحنفا، 3 \32؛ الدجاني، هادية شكيل، القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني العسقلاني (526 - 596هـ / 1131 - 1199م): دوره التخطيطي في دولة صلاح الدين وفتوحاته، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط2، 1999م، ص 29-30.

39. القاضي الفاضل، علي بن عبد الرحيم (ت 596هـ) ، رسائل القاضي الفاضل، تحقيق، علي نجم عيسى، بيروت، ط1، دار الكتب العلمية، (2005م)، كتاب رقم : 18
40. القاضي الفاضل ، المصدر السابق، كتاب رقم: 98
41. الرملة: وتعرف برملة فلسطين، بناها سليمان بن عبد الملك، انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، 69/3. وهي اليوم في فلسطين وتحمل نفس الاسم. انظر: مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، ص415 – 416.
42. دجاني، القاضي الفاضل، ص 246.
43. أبو شامة، الروضتين، 4/ 359-364 .
44. دجاني، القاضي الفاضل، ص 246.
45. أبو شامة : الروضتين، ج 4/ 359-364؛ دجاني، المرجع السابق، ص 246. .
46. هو أبو علي عمار بن محمد بن الحسين بن قندس بن عبد الله بن إدريس بن أبي يوسف الطائي، من أسرة فاقت شهرتها في العلم كل ما كان لها من صفات حربية كان يجمع بين حكم طرابلس والقضاء بها. انظر، ابن خلكان، وفيات الأعيان، 1\ 160؛ المقريزي، السلوك، 3 /42 .
47. عرقة: بلدة في شرقي طرابلس بينهما أربعة فراسخ وهي آخر عمل دمشق في سفح الجبل، بينهما وبين البحر نحو ميل، وعلى جبلها قلعة. ياقوت الحموي، معجم البلدان، 4\ 109.
48. انطرطوس أو وطرطوس حصن على البحر الأبيض المتوسط شرق مدينة عرقة بينها ثمانية فراسخ . وهي آخر أعمال دمشق من البلاد الساحلية. انظر عنها: ياقوت الحموي، معجم البلدان، 4/ 30.
49. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 10 / 54 ؛ نقلى، آسيا، دور الفقهاء والعلماء المسلمين في الشرق الأدنى في الجهاد ضد الصليبيين خلال الحركة الصليبية (489-690 هـ / 1095-1291م) ، الرياض، ط1 ، مكتبة العبيكان، (1423 هـ/ 2002 م) ، ص84.
50. ابن القلانسي، الذيل،ص146.

51. هو جناح الدولة صاحب حمص، كان والياً شجاعاً وهمة عالية، تصدى لمحاربة الصليبيين، إلا انه اغتيل في المسجد على . يد باطني، سنة ٤٩٦ هـ/ ١١٠٢ م، للمزيد عن ترجمته، انظر: أبو الفداء، المختصر ، 34\2؛ ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت 874هـ)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق، محمد حسين شمس الدين، بيروت، ط1، دار الكتب العلمية، (1413هـ)، 5 \168-169.
52. ابن القلانسي، الذيل، ص 140 -141.
53. سرمدا : إحدى نواحي حلب الغربية ، وهي من مدنها القديمة، وتتميز بوفرة خيراتها وموقعها المهم والمطل على المدينة، ياقوت، معجم البلدان، 82/3.
54. ابن القلانسي، الذيل، ص 200؛ ابن الأثير، الكامل، 10/ 532-531.
55. هو أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الواحد بن علي بن سرور لمقدسي، الإمام العلامة الشيخ العماد، كان فقيهاً، مفتياً، صنف عدد من الكتب، توفي سنة 614 هـ/1217 م بدمشق. انظر، أبو شامة، شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي (ت665هـ/1267م)، الذيل على الروضتين، بيروت، ط2، دار الجيل، (1974م) ،104-106؛ ابن كثير، البداية والنهاية ، 13/71- 69.
56. ابن كثير، المصدر السابق، ج 13 ،ص 71 ؛نقلي، دور الفقهاء، ص 146.
57. ابن شداد؛ بهاء الدين يوسف بن رافع بن تميم (ت 632هـ/1239م)، سيرة صلاح الدين المسماة النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق، جمال الدين الشيال ، القاهرة ،(1415هـ/1994م)، ص94؛ ابن واصل، مفرج الكروب، 300/2.
58. ابن العديم، زبدة الحلب، 252/2.
59. الحسو، أحمد، الكرك في العصور الاسلامية، عمان، وزارة الثقافة الاردنية، (2004م). 37-39.
60. الصوري، الحروب الصليبية ، ترجمة، حسن حبشي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (1992م) ، 44/2. و ريموند السنجيلي Remond. De. St. Gilles هو ريمون سان جيل قومس تولوز (Reymond de saint – gilles, comte de Toulous) استجاب لدعوة الكنيسة بالقيام بحرب لنجدة النصرانية في الشرق

على حد زعمهم بعد هزيمة السلاجقة للامبراطور البيزنطي. انظر عنه: انظر عنه: آجيل؛ ريموند، تاريخ الفرنجة الذين استولوا على القدس، ترجمة وتحقيق، سهيل زكار في الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ج6، دمشق، د. ط ، دار الفكر،(1416هـ/ 1995م)، ص 182؛ بالار، ميشيل، الحملات الصليبية والشرق اللاتيني، ترجمة، بشير السباعي، القاهرة، ط1،عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ص77 – 78.

61. الأمير قوام الدين أبو سعيد كربوغا (أو كربوقا) بن عبد الله الجلالي هو أمير تركماني من مماليك السلطان السلجوقي ملكشاه بن ألب أرسلان، ومن قادة حركة الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين. كان أميرًا للموصل، وتولى تربية عماد الدين زنكي وتعليمه فنون الفروسية والقيادة والقتال. انظر عنه: ابن الأثير، الكامل، 10/ 341 ؛ الجميلي، رشيد، كربوقا صاحب الموصل والصليبيون، مجلة "التاريخية"، سنة 1972، العدد 2، ص 228 .

62. ابن العديم، زبدة الطلب، 136/2؛ ابن الأثير، الكامل، 276/10؛ ابن القلانسي، الذيل، ص 136. والأمير ثمال هو أبو علوان ثمال بن صالح بن مرداس الملقب بمعز الدولة تولى سنة ٤٣٣ لما توفي الدزبري كان أبو علوان ثمال بن صالح بالرحبة، فجاء إلى حلب فملكها تسليمًا من أهلها، وملكها. انظر عنه: الطباخ الحلبي، إعلام النبلاء، 289/1

63. ابن العديم: زبدة الحلب، 136/2.

64. هو ابن بدر الجمالي، ولاه أبوه الوزارة في حياته لما اشتد مرضه سنة 487هـ/1094، وقضيته مع نزار ابن المستنصر أفتكين والي الإسكندرية مشهورة، وهو الذي تولى الوزارة للمستعلي الفاطمي، كما تولى ولاية القدس في عهد المستعلي، سنة 491هـ/1097م انظر عنه: ابن خلكان، وفيات الأعيان، 2 \450 – 451.

65. صاحب دمشق الملك أبو منصور طغتكين الأتابك، من أمراء السلطان تتش السلجوقي. كان شهمًا شجاعًا ، مهيبا مجاهدا في الفرنج ، يلقب ظهير الدين. توفي سنة 522هـ، تملك بعده ابنه الكبير تاج الملوك بوري بعهد منه. انظر عنه:

الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد الشافعي (ت 748هـ/1348م)، سير أعلام النبلاء، بيروت، مؤسسة الرسالة،(1422هـ / 2001م) ، 19/ 519. 521.

66. المقريزي، السلوك، 3،/ 35. و عسقلان: مدينة فلسطينية على ساحل البحر الأبيض المتوسط على بعد 12 كم إلى الشمال من غزة. انظر عنها: الإدريسي، أبو عبدالله محمد بن محمد (ت 560هـ)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، بيروت، ط1، عالم الكتب، (1409م).، 1\ 356 ؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص 174 . ياقوت الحموي، معجم البلدان، 4\ 122.

67. الدباغ، مصطفى، القبائل العربية وسلالاتها في بلادنا فلسطين، بيروت، دار الكتب العربية، 1986م، ص 186.

68. الدجاني، القاضي الفاضل ، ص 16.

69. ابن القلانسي، الذيل، ص 137.

70. الدجاني، القاضي الفاضل ، ص 16

71. سايولف، وصف رحلة الحاج سايولف لبيت المقدس 1102-1003م، ترجمة، سعيد البشاوي، عمان، ط1، دار الشروق،(1997م).

72. ابن العبري؛ أبو الفرج غريغوريوس بن هارون الملطي (ت 685هـ/ 1286م)، تاريخ الزمان، تحقيق، خليل المنصور، بيروت، ط1، دار الكتب العلمية، 1418هـ/ 1997م.، ص 127. و لكن رواية ابن العبري فيها شيء من المبالغة، حيث تذكر الرواية أن عدد قوات صنجيل 300 فارس فقط، فكيف استطاعت قوة مكونة من هذا العدد القليل قتل جيش مكون من خمسة آلاف فارس، ولكن لعله كان يقصد ثلاثمئة ألف كما ورد في روايات أخرى.

73. ابن الأثير، الكامل، 496/8.

74. ابن العديم، زبدة الحلب،2/147-148؛ ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ص 40-41.

75. ربيعة بن حازم بن علي بن مفرج بن دغفل بن جراح بن شبيب بن مسعود بن سعيد بن حرب ابن السّكن بن ربيع بن علقى بن حوط بن عمرو. وهم من طيّء من القحطانية. كانت مساكنهم في البلاد الشامية، انظر عنهم: القلقشندي، أحمد بن علي (ت821هـ)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تحقيق، محمد حسين شمس الدين، بيروت، ط1، دار الكتب العلمية، (1407هـ) ، 1/ 324.

76. الشهابي، حيدر، تاريخ الأمير حيدر الشهابي ، تحقيق مارون رعد، بيروت، دار نظير، (1997م)، ص 216.
77. ابن القلانسي، الذيل، ص 184.
78. ابن القلانسي، المصدر السابق، ص 185.
79. ابن القلانسي، المصدر نفسه، ص 225.
80. ابن القلانسي، نفسه، ص 185 . الصوري، تاريخ، 2/ 703.
81. ابن منقذ، الاعتبار، ص 158؛ ابن الأثير، الكامل، 5/ 115.
82. ابن القلانسي، الذيل، ص 225 .
83. ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ص 190.
84. ابن الأثير، الكامل، 644/8.
85. ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ص 323.
86. ابن شداد، لمصدرالسابق،ص185.
87. المحمود، إبراهيم مصطفى، موسوعة السياسة والحرب في بلاد الشام، دمشق، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب-ووزارة الثقافة، (2001م)، 137/1.
88. جوسلين Jocelin de coartenau : صاحب تل باشر، أحد النبلاء الفرنسيين، عينه بلدوين الأول Baldwin I مشرفاً على الجليل بعد موت تانكرد Tancred سنة 507هـ/ 1112م، أسره المسلمون في معركة عند مدينة حران سنة 1104/498م، انظر: وليم الصوري، الحروب الصليبية، 474/1 – 449؛ الجنزوري؛ علية عبد السميع، إمارة الرها الصليبية، د. ط،(1986م) ، ص197-345؛ Setton, Kenneth. M, A History of the Crusades. The University of Wisconsin press, Madison, Milwankee, London, 1969, p.p. 411-44
89. ابن الأثير، الكامل، 667/8.
90. ابن القلانسي ، الذيل، ص 225
91. ابن القلانسي، المصدر السابق، ص 332.
92. القلانسي، المصدر نفسه، ص 347.

93. حارم :حصن منيع وكورة جليلة تجاه أنطاكيا من أعمال حلب ، فيها أشجار كثيرة ومياه ، ومعنى اسمها هو حرمتها على العدو لحصانتها ، دخلها هولاكو سنة 111هـ انظر: ياقوت الحموي ، معجم البلدان، 2 /294
94. الشهابي، تاريخ ، ص356.
95. الشهابي، المصدر السابق ، ص349.
96. الشهابي، المصدر نفسه، ص352.
97. معين الدبن أنر مملوك طغتكين صاحب دمشق، حفظ دمشق حين قُتل شمس الملوك إسماعيل بن تاج الملوك بوري بن طغدكتين سنة 539هـ، وقد توفي سنة 555هـ انظر عنه: الذهبي، سير، 22/20.
98. القلانسي، الذيل، ص 304.
99. المقريزي، الخطط، 278/1.
100. هو شاور بن مجير بن نزار السعدي، أصبح وزير الديار المصرية بعد أن قام بثورة استولى بها على وزارة مصر بعد أن قتل رزيك بن صالح سنة 557 هـ/ 1161 م، واتهم بتعاونه مع الإفرنج ، وقد قتله صلاح الدين بالقاهرة، وبعث برأسه إلى العاضد الفاطمي. انظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، 2/ 440 ،439، ابن الأثير، الكامل، 11 /125؛
101. أبوشامة، المصدر السابق، 179/1.
102. قُوص: مدينه كبيرة عظيمة واسعة تقع في صعيد مصر بينها وبين الفسطاط اثنا عشر يوما وأهلها أرباب ثروة واسعة، انظر عنها: ياقوت الحموي، معجم البلدان، 4/3.
103. أبوشامة، الروضتين، 180/1.
104. يافا: بلدة صغيرة، تقع على ساحل البحر إحدى المدن الكنعانية العربية القديمة، واسمها تحريف للكلمة Yafi بمعنى الجميل، انظر عنها: المقدسي، أحسن التقاسيم، ص174؛ الدباغ؛ بلادنا فلسطين ، 2\ 97-98، 103-105.
105. ابن الأثير، الكامل،460/9؛ ابو شامة، النوادر، ص 160.

106. دمياط: من ثغور مصر القديمة، تقع على الشاطئ الشرقي لفرع النيل المسمى باسمها بينها وبني مصبه في البحر المتوسط 15 كيلو متر. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، 2\ 537-540.
107. المقريزي، البيان والإعراب، ص 11.
108. المقريزي، المواعظ والاعتبار، 272/1
109. ابو شامة، الروضتين، ص80؛ ابن الأثير، الكامل، 11\؛157؛ المقريزي، الخطط، 2\246.
110. ابو شامة، المصدر السابق،1\230 ؛ المقريزي، السلوك ، 1\55.
111. نعش، محمد، الرسائل الحربية في عصر الدولة الأيوبية، مجلة جامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، 57\ 137.
112. غوانمة، يوسف حسن، التاريخ الحضاري لشرقي الأردن في العصر المملوكي، عمان، ط21،دار الفكر للنشر والتوزيع، (1982م)، ص 184.
113. الكرك: كلمة أعجمية وهي اسم لقلعة حصينة جدا في طرف الشام من نواحي البلقاء في جبالها بين أيلة وبحر القلزم وبيت المقدس. بناها الصليبيون على مرتفع يشرف على المنطقة الواقعة في شرق الأردن حتى البحر الميت. انظر عنها: ابن جبير، محمد بن أحمد الكناني (ت 614هـ/1217م)، رحلة ابن جبير المسماة: "تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار"، بيروت، (1964م)، ص 201 ؛ ابن بطوطة، أبو عبدالله محمد بن إبراهيم (ت779هـ)، رحلة ابن بطوطة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق، محمد عبد المنعم العريان، بيروت، ط3، دار إحياء العلوم، (1417هـ)،، ص 129.
114. ابن واصل، مفرج الكروب ، 5 /196 ، 2 /130 . أبو شامة ، الروضتين ، 2\24. و حطين: قرية في شمال فلسطين بين أرسوف وقيسارية، انظر عنها: ياقوت الحموي، معجم البلدان، 3/ 16 ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 10 /146 ؛ ابن واصل، مفرج الكروب، 2/ 188 ؛ أبو الفداء، المختصر، 2، /155.
115. ابن يحيى، صالح (ت: بعد 857هـ) ، تاريخ بيروت، تحقيق فرنسيس هورس وكمال الصليبي، بيروت- لبنان ، دار المشرق،(1969)، ص46.

116. ابن عبد الظاهر؛ محي الدين أبو الفضل عبد الله (ت 692هـ/1292م)، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق، عبد العزيز الخويطر، الرياض، د. ط، (1976م). ص 252 .
117. ابن الأثير، الكامل ، 10 /198 ؛ ابن شداد، النوادر، ص 74 ؛ ابن واصل، مفرج الكروب، 2/ 294،305 ؛ نقلي، دور الفقهاء ، ص 1.
118. هو الحسين بن عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله بن رواحه الأنصاري الحموي، الأديب الفقيه، اشتغل بالفقه، وسمع الحديث من الحافظ ابن عساكر وآخرين. انظر عنه: انظر : ابن شاكر الكتبي، محمد بن شاكر (ت 764هـ)، فوات الوفيات، تحقيق، إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة، (1974م) ، 1\ 27،276.
119. هو القاضي المرتضى صفي الدين أبو الجد عبد الرحمن المخزومي، وسمع عن السلفي، وكان أحد كتاب الإنشاء في عصر ؛ صلاح الدين. انظر عنه: أبو شامة، الروضتين، 2 \182 ؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار، 2\ 93.
120. أبو شامة، المصدر السابق، 2/ 182؛ المقريزي، المصدر السابق، 2/ 93
121. ابن شداد، النوادر، ص 150. 151.
122. ابن منقذ، أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني الكلبي (ت584هـ) كتاب الاعتبار، تحقيق، فيليب حتي، د. ف، مصر، مكتبة الثقافة الدينية، (د.ت).، ص94.
123. أفامية: مدينة حصينة من سواحل الشام وكورة من كور حمص. انظر: الحموي، معجم البلدان، 227/1.
124. ابن منقذ، الاعتبار، ص 141-140.
125. ابن منقذ، نفسه، ص 41.
126. نفسه، ص2.
127. نفسه، ص4.
128. نفسه، ص 17-16.
129. نفسه، ص148-147.
130. نفسه، ص29 -25.
131. نفسه، ص 51، وانظر أيضًا : ص 56 ، 199، 213.

132. نفسه، ص 80،61،8، 84، 83، 87.
133. نفسه، ص 10.
134. نفسه، ص 5.
135. ابن شداد، النوادر، ص 67، 169.
136. ابن شداد، المصدر السابق، ص 299 -298.
137. المقريزي، السلوك، 1/ 440.
138. المقريزي، المصدر السابق، 1/. 456.
139. لم أجد له ترجمة.
140. ابن القلانسي، الذيل ، ص 183. 815 . 225، 230.
141. دي نوفار؛ فيليب، حروب فريدريك الثاني ضد الإبلين في سورية وقبرص، ترجمة وتحقيق، سهيل زكار، في الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ج 34، دمشق، د. ط، دار الفكر،(1419هـ/ 1998م)، ص 50 .
142. ابن القلانسي، الذيل، ص 185 . الصوري، تاريخ، ج 2، ص 703.
143. ابن منقذ، الاعتبار، ص 158؛ ابن الأثير، الكامل، 5/ 115.
144. ابن واصل، مفرج الكروب، 165/3. والجولان : جبل من نواحي دمشق. انظر عنها: ياقوت الحموي، معجم البلدان، 188/2.
145. العمري، شهاب الدين أبو العباس أحمد (ت749هـ/1359م)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، دراسة وتحقيق، دورتيا كرافولسكي، بيروت، (1407هـ)، ص138.
146. ربيعة بن حازم علي بن مفرج بن دغفل بن الجراح بن شبيب الطائي، انظر: العمري، مسالك الأبصار، 136/4 ، واليه ينسب آل ربيعة الذين استمر دورهم في العصر المملوكي، القلقشندي، صبح الأعشى، 4\203.
147. ينسبون إلى بحتر بن علي بن الحسين بن إبراهيم بن محمد، وكان إبراهيم بن محمد أميراً على البيرة الواقعة بين حلب والرقة، انظر: ابن يحيى، تاريخ بيروت، ص 39.
148. اين يحيى، المصدر السابق، ص 45.
149. ابن يحيى، نفسه، ص43.
150. اين يحيى، نفسه، ص4.

151. هو حسام الدين مهنا ابن الملك عيسى بن مهنا الطائي، وصفه المؤرخون بانه " ملك العرب" ، كان كبير القدر، عند الملوك كلهم بالشام ومصر والعراق، وكان ديّنا خيّرا، متحريًا للحق، وكان يحب الشيخ ابن تيمية حبا زائدًا، هو وذريته وعربه، يسمعون قوله ويمتثلونه،. انظر عنه: ابن كثير، البداية والنهاية، 18 / 381، الذهبي، العبر، 4 / 102.
152. النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت 733هـ)، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق، حسين نصار وعبد العزيز الأهواني، (1403هـ)،30/284 .
153. المحيميد، علي بن صالح، دور إمارة آل فضل السياسي في بلاد الشام إبان العصر المملوكي، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، ج 17، ع 29 ، صفر 1425هـ،.
154. المقريزي، السلوك، 1/ 762.
155. مارينو سانوتو، كتاب الأسرار، إعداد ومراجعة باليغريتو رنكاليا، وسمير الخادم، نقله إلى العربية سليم رزق الله، بيروت، ط ١، مؤسسة دار الريحاني للطباعة والنشر، ص 10؛ الحسو، الكرك، ص 141.
156. الصفدي، صلاح الدين خليل بن إيبك (ت 764هـ)، أعيان العصر وأعوان النصر ، بيروت، ط1، دار الفكر المعاصر ، (1418 هـ / 1998م)، 5/ 463.
157. حماة مدينة كبيرة من مدن الشام كثيرة الخيرات رخيصة الأسعار واسعة الرقعة يحيط بها سور محكم وبظاهر السور حاضر كبير جدا فيه أسواق كثيرة وجامع مفرد. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، 2/ 11.
158. ابن أيبك، الدواداري، أبو بكر عبد الله (ت. 736 هـ)، كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية بالمعهد الألماني للآثار، لقاهرة ،(1992 – 1961م)، ص221.
159. الصفدي، أعيان العصر، 5/ 464؛ المقريزي، السلوك، 1/ 78.
160. ابن يحيى، تاريخ بيروت، ص 71-72؛ الذيابات، القبائل العربية، ص 37-40
161. ابن يحيى، لمصدر السابق، ص136، 174.
162. القلانسي، الذيل، ص 304.

163. بانياس، هي مدينة من ثغور بلاد الشام، تقع في شمال فلسطين، فيها نهر شديد البرودة، يخرج من. تحت جبل الثلج "جبل الشيخ" ، انظر: أبو الفداء، المختصر ، ص 238.

164. هونين: بالضم ثم السكون، بلد في جبال عاملة مطل على نواحي مصر. انظر عنها: ياقوت الحموي، معجم البلدان،5/ 420.